المحاضرة الحادية عشر	التشكيل في النص الشعري في العصر المملوكي والعثماني	ابن نباتة المصري/إسماعيل الخشاب/ البوصيري

أهداف المحاضرة

الوقوف على أهم الظواهر الشعرية في العصور (والمملوكي والعثماني) وأشهر الشعراء فيها.وذلك من خلال دراسة تحليلية شاملة لنصوص مختارة: ابن نباتة المصري/ البوصيري

مراجع المحاضرة:

1. نوري أحمد محفوظ عبيريد:جماليات التناص الخارجي في قصيدة البردة، للبوصيري ورقة بحثية مقدمة إلى أعمال المؤتمر الدولي الثاني (آفاق الخطاب النقدي) المنعقد بجامعة آل البيت 24 ـ 26 / أبريل /2012م
2. د. زينب عبد الكريم ديوان ابن نباتة المصري الفاروقي (686هـ- 768هـ)- (1278م- 1366هـ)
3. دراسة فنية كلية الآداب/ الجامعة المستنصرية العدد/22 مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية / جامعة بابل آب/2015م
4. د/ أحمد محمد عطاالتَّنَاص القُرآني في شِعْر جَمال الدِّين بن نُباتَة المِصريبحث مقدم من: كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة قناة السويس إلى المؤتمر الدولي الرابع لكلية الألسن جامعة المنيا إبريل 2007

مراجع أخرى:

الأدب في العصر الأيوبي	د. زغلول سلام
الأدب في العصر المملوكي	د. زغلول سلام
بيت المقدس في أدب الحروب الصليبية	د. عبد الجليل عبد المهندي
بين المقدس في شعر الحروب الصليبي	د. عبد الجليل عبد المهدي
تاريخ الأدب العربي في عهد الفاطميين والأيوبيين	سباعي بيومي
الحركة الفكرية في مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي الأول	د. عبد اللطيف حمزة
الحياة الأدبية في الشام في القرن الخامس الهجري	د. عبد الجليل عبد المهدي
دراسات في الشعر في عصر الأيوبيين	د. محمد كامل حسين

في أدب مصر الفاطمية	د. محمد كامل حسين
المدائح النبوية	د. زكي مبارك
مطالعات في الشعر المملوكي والعثماني	د. بكري شيخ أمين
المدائح النبوية	د. زكي مبارك

ترسيمة توضح المسار التاريخي للعصور الأدبية

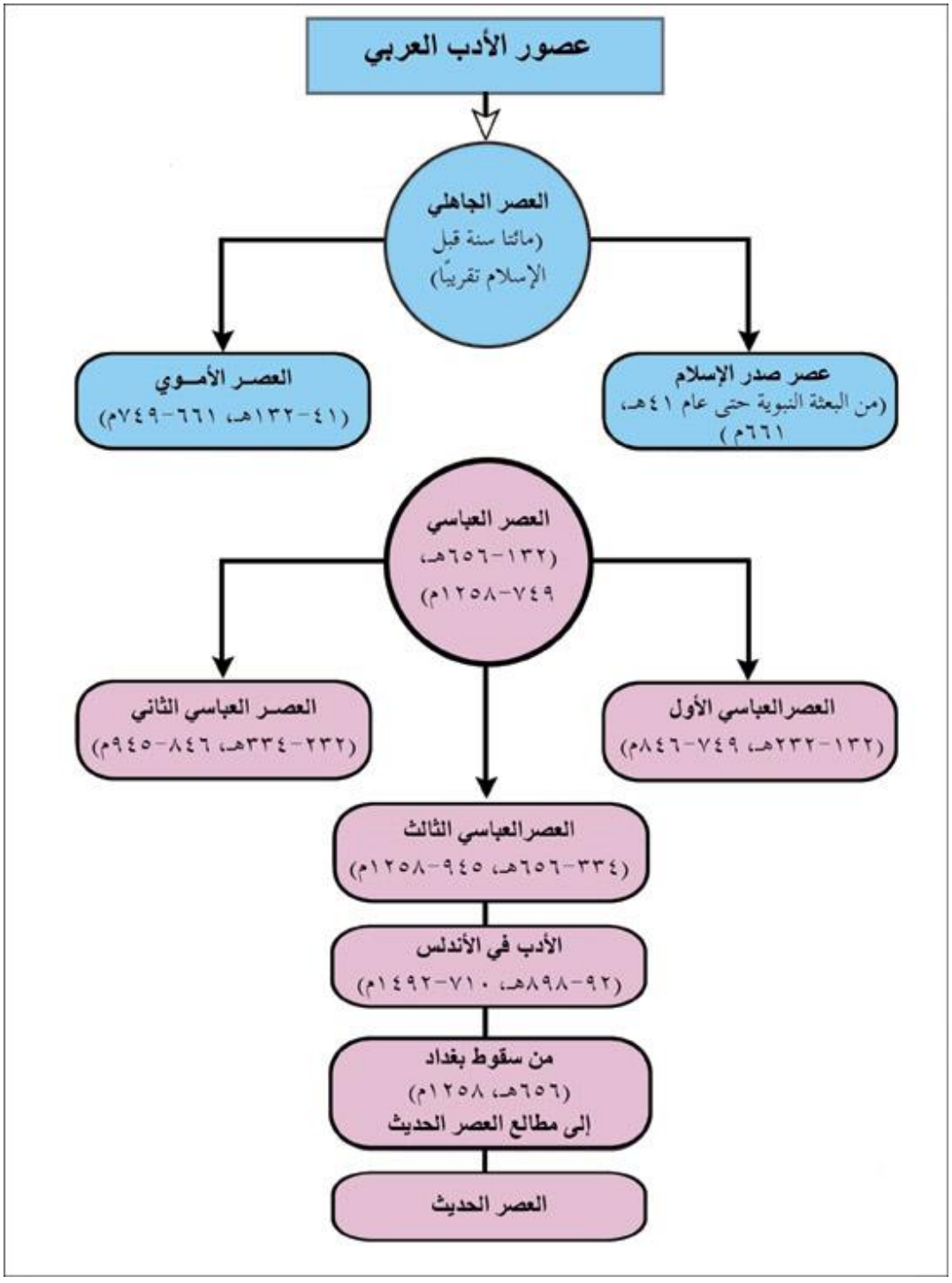

على سبيل التقديم:

اتُّهِم العصر المملوكي بأنه عصر تخلُّف وركود حتى ذهب بعض النقاد والباحثين إلى أن هذا العصر قد جَمُدَ فيه الإبداع، وغير ذلك من نعوت وأوصاف كان سببها قلة ما وصل إلينا من نصوص- شعرية ونثرية — فُهِمَ من خلالها أن هذا العصر قد طُمس بمعالم التخلف، ولكن من يُنقب عن العصر وعن شُعرائه يجد أنه قد حوى بعض الشعراء الجادين المتميزين- شأن أي عصر- إذا تمت دراسة أثارهم دراسة جادة ومعمقة فلا شك في أنها ستعطي

صورة مشرقة من صور هذا العصر تزيل الغموض الذي اكتنفه في أذهان طلاب الأدب وشُداته، وتترك لدى المطلع انطباعاً مغايراً لما هو سائداً عنه.

ولم يكن هذا اتهام العصرين المملوكي والعثماني بالضعف ليحص لولا وجود عوامل قوية أدَّت إلى ذلك، لعل من أهمها أن السلطة السياسية والتي يمثلها الحكَّام والسلاطين كانت أعجمية وليست عربية، ولذلك لم يقوموا بدعم حركة الشعر الفصيح ونهوضه، ، بل شجعوا على النظم باللهجة العامية فازدهرت الكثير من أنواعه أضف إلى ذلك أنهم أهملوا الشعراء ولم يولوهم اهتماماً، وهو ما جعلنا نجد الكثير من الشعراء يترك الشعر ويمتهن بعض الحِرَف البسيطة ويُنسب لها كالدهان والجزّار وغير ذلك؛ سعياً منهم لكسب قوت يومهم، يضاف إلى ما سبق أن دخول عدد كبير من الجنسيات غير العربية لمجتمع الدول المتتابعة أدَّى إلى تفشي العامية وانحسارٍ واضحٍ لمتكلمي العربية الفصحى، وهو الأمر الذي انعكس سلباً على معرفة فنونها والإلمام بآدابها المختلفة والتي يأتي الشعر الفصيح في مقدمتها وأحد أبرز مكوناتها، وفي المقابل نجد شيوعاً كبيراً للفنون الشعرية الشعبية المختلفة كالزجل والموشح والدوبيت والمواليا وغير ذلك.

لقد كان لهذه الأسباب وغيرها أثرٌ واضحٌ على تقدم حركة الشعر في عصر الدول المتتابعة، لكنهما في الوقت نفسه لم يمنعا من وجود شعراء أفذاذ ونماذج شعرية راقية، كما أن ذلك لم يمنع الشعر في هذا العصر أن يتسم بسمات وخصائص فنية تميزه عن غيره من العصور الأدبية الأخرى، وسمات وخصائص أخرى يتلاقى فيها مع عصور أدبية سابقة عليه، سواءٌ أكان ذلك على مستوى البُنى الفنية أو الموضوعات الشعرية أو حتى على مستوى نوعية الشعراء وتباينهم ونظر لقلة المراجع الإجرائية في دراسة الشعر المملوكي سأعتمد على دراسة نوري أحمد محفوظ عبيريد:جماليات التناص الخارجي في قصيدة البردة، للبوصيري ورقة بحثية مقدمة إلى أعمال المؤتمر الدولي الثاني (آفاق الخطاب النقدي) المنعقد بجامعة آل البيت 24 ـ 26 / أبريل /2012م

و المقصود بالشعر المملوكي[1]. والعثماني[2]. هو ذلك الشعر نشأ ما بين سنة 567هـ، وهي السنة التي أسس فيها صلاح الدين الأيوبي الدولة الأيوبية[1].، إلى سنة 1213هـ، وهي السنة التي احتل فيها نابليون

(1)يقسم المؤرخون دولة المماليك إلى دولتين : الأولى المسماة بدولة المماليك البحرية : التي امتد حكمها في الفترة ما بين عام 648و784هـ وكان من أشهر سلاطينها : عز الدين أيبك ,وسيف الدين قُطُز، والظاهر بَيْبَرْس، والمنصور قلاوون.أما الدولة الثانية فتسمى المماليك البرجية : نسبة إلى مسكنهم في أبراج القلعة ومن أشهر سلاطينها مؤسسها الظاهر قلاوون، وقد امتد حكمها حتى الفتح العثماني لمصر سنة 922هـ

(2) كانت سنة 700هـ هي السنة الأولى لقيام الدولة العثمانية، والتي بدأت بإمارة صغيرة على أنقاض الدولة السلجوقية، وقد أخذت في الاتساع رويداً رويداً حتى انتزعت العديد من الإمارات الأوروبية الخاضعة للإمبراطورية البيزنطية، لكن التحول الكبير في تاريخ هذه الدولة بدأ بالفتح العظيم

بـــونابرت مصـــرَ، والـــتي بـــدأ بعـــدها الأدب مرحلـــةً جديـــدة تســـمَّى فيهـــا بالأدب الحـــديث.

لقد كانت مصر والشام هي البيئة التي نشأ فيها هذا الشعر، فنفوذ الدولة الأيوبية والمملوكية كان متمركزاً فيها، في حين أن سلطان الدولة العثمانية كان متمحوراً فيها أيضاً لكنه امتد كذلك على أرجاء أخرى من الوطن العربي كاليمن والعراق والجزيرة العربية، ولذا فإن النماذج المختارة ةسوف يركز كثيراً على هذه البيئة .

المدائح النبوية في العصر المملوكي(قراءة في تكوينات النصوص):

البوصيري: محمد بن سعيد بن حماد الصنهاجي البوصيري 608) هـ 696 – هـ 7 / مارس (1295 – 1213 شاعر صنهاجي اشتهر بمدائحه النبوية. أشهر أعماله البردية المسماة "الكواكب الدرية في مدح خير البرية."ولد البوصيري في قرية دلاص من أعمال بني سويف بصر، في (أول شوال608 هـ 7 = من مارس1213 م (لأسرة ترجع جذورها إلى قبيلة صنهاجة إحدى أكبر القبائل الأمازيغية، المنتشرة في شمال أفريقيا، كما أنه أصوله تعود لمنطقة دولة الحماديين أحد فروع قبيلة صنهاجة ثم انتقل مع أبيه إلى مصر القاهرة حيث واصل تلقى علوم العربية والأدب.

تلقى البوصيري العلم منذ نعومة أظفاره؛ فحفظ القرآن في طفولته، وتتلمذ على عدد من أعلام عصره، كما تتلمذ عليه عدد كبير من العلماء المعروفين، منهم: أثير الدين محمد بن يوسف المعروف بأبو حيان الغرناطي ، أبو

لمدينة القسطنطينية، تلك المدينة التي استعصت كثيراً على المسلمين، إلى أن فتحها السلطان العثماني محمد الثاني والملقب بالفاتح سنة 857هـ، فأصبحت الدولة العثمانية بذلك إمبراطورية عظمى جمعت تحت لوائها دولاً عديدة موزعةً بين أوروبا وآسيا. ولم تقف الدولة العثمانية عند هذا الحد بل امتد نفوذها بدءاً من عام 922هـ يشمل معظم الدول العربية، فقد جهز السلطان العثماني سليم الأول جيشاً كبيراً لملاقاة السلطان المملوكي قانصوه الغوري الذي انهزم في معركة مرج دابق شمال حلب سنة 922هـ، ففتح بذلك الشام كله، ثم واصل سليم الأول زحفه إلى مصر حتى فتحها وهزم خليفة قانصوه في مصر، وهو آنذاك طومان باي الذي انهزم وولى هارباً أوائل عام 923هـ.وقد تعاقب على خلافة الدولة العثمانية قرابة خمسة وثلاثين سلطاناً كان أولهم عثمان الأول وآخرهم محمد رشاد الذي انفرط على يده عقد الدولة العثمانية سنة 1351هـ إثر الحرب العالمية الأولى، قامت بها دول أوروبية كبرى، ووزعت فيما بينها أشلاء الدولة العثمانية التي نُعتتْ أواخر عهدها بـ(الرجل المريض) لضعفها ووهنها الشديد.واستطاعت أن تتولى عرش مصر حتى قدوم ابن أخيه تورانشاه الذي تولى الملك سنة 647هـ، ولم يدم طويلاً حيث استطاع المماليك قتله وإعلان دولتهم سنة 648هـ.

(1) قامت هذه الدولة على أنقاض دولة الفاطميين بمصر، والزنكيين بالشام، فقد استطاع صلاح الدين الأيوبي ذو الأصول الكردية، أن يؤسس الدولة الأيوبية سنة 567هـ، حيث قضى بالكلية على بقايا الدولة الفاطمية بمصر، بعد إحكامه السيطرة عليها، ووفاة الخليفة الفاطمي الملقب بالعاضد، كما استطاع أن يستولي بجيشه القوي على الشام التي كان الكثير من مدنها خاضعة لسلطة الأمير الزنكي نور الدين زِنكي، الذي كان لوفاته سنة 569هـ وضعف ابنه من بعده الملك الصالح إسماعيل ذي الحادية عشرة من عمره أثر قوي في تولي صلاح الدين الأيوبي سنة 570هـ زمام السلطة في الشام. هذا وقد لقد أدت وفاة صلاح الدين الأيوبي سنة 589هـ إلى تفكك الدولة الأيوبية وحدوث منازعات بين أبناء البيت الأيوبي، وكذلك سقوط بيت المقدس مجدداً في أيدي الصليبيين سنة 626هـ بدون قتال وبجيش بسيط وصل قوامه قرابة ستمائة جندي فقط. لكن الملك الصالح أيوب استطاع بعد ذلك استرداد بيت المقدس مرةً أخرى سنة 642هـ، وهذا الملك هو الذي أخفت زوجته شجرة الدر خبر وفاته، واستطاعت أن تتولى عرش مصر حتى قدوم ابن أخيه تورانشاه الذي تولى الملك سنة 647هـ، ولم يدم طويلاً حيث استطاع المماليك قتله وإعلان دولتهم سنة 648هـ.

العباس المرسي ، وفتح الدين أبو الفتح محمد بن محمد العمري الأندلسي الإشبيلي، المعروف بابن سيد الناس . وغيرهما.

عُني البوصيري بقراءة السيرة النبوية، ومعرفة دقائق أخبار رسول الإسلام وجامع سيرته، وأفرغ طاقته وأوقف شعره وفنه على مدح الرسول

و**المدائح النبوية** فن شعري نما وتكامل في هذا العصر، فكان أبرز فنونه وأرقاها، وأكثرها تأثيراً في الحركة الشعرية وفي مجتمع ذلك الوقت، وهو الفن الذي استمر وجوده والإقبال عليه إلى يومنا هذا، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. وإذا ذُكرت المدائح النبوية في العصر المملوكي فإن الأنظار لاشك في أنها سترنوا إلى بردة البوصيري (696هـ) التي تعد أنموذجاً للنبويات في هذا العصر، بل إن شهرتها تجاوزت إطارها التاريخي لتصبح أنموذجاً للنبويات بشكل عام، وصدق أمير الشعراء أحمد شوقي القائل:

المادحون وأرباب الهوى تبعٌ لصاحب البردة الفيحاء ذي القدم

كان لذيوع البردة في أوساط المجتمع الإسلامي وانتشارها بين أفراده على نطاق واسع، وإقبالهم على حفظها وإنشادها ودراستها الأثر البالغ في الحقل الأدبي واللغوي، مما ساعد على إثراء اللغة وتطويع لغة الخطاب الأدبي فأخذت البردة بذلك مكانة متميزة في تاريخ الأدب العربي، وطبعت عدة مرات في البلاد الإسلامية وفي بعض البلاد الأجنبية، هذا إلى جانب أن دراسات أخر تناولت تأثرها وتأثيرها بالتحليل والموازنة لإظهار الخصائص والمميزات والوقوف على الجوانب الموضوعية والفنية.[1]

ولا شك في أن لهذه الأعمال العلمية والأدبية الكثيرة المتصلة بالبردة مفعولها الكبير في إثراء جملة من المعارف في هذه الحقول اللغوية والنحوية والصرفية والبلاغية والأدبية والتاريخية،كما لا يزال الاهتمام بها قائماً ومتنامياً في نفوس عموم أفراد الأمة، تلاوة وإنشادا، تيمناً وتبركاً تقديراً وتعظيماً؛ إلا أن الباحث لاحظ قلة الدراسات التي تنصب على دراسة نص البردة من خلال استنطاق نصوصها، واستقراء المرجعيات التناصية المباشرة وغير المباشرة التي شكلت بناء البردة والوقوف على جماليتها.

أما من ناحية المرجعيات ، فيتجلى الأثر القرآني نص البوصري في مواطن كثيرة من البردة،.

فقول البوصيري: وَلا تَزَوَدَّتُ قَبْلَ المَوتِ نَافِلَةً ولَمَ أُصلِّ سوى فَرضٍ ولَمَ أصُم

---

1 ـ انظر عن أثر البردة في اللغة العربية: المدائح النبوية في الأدب العربي، زكي مبارك، ص 215 ـ 226.

يتناص هذا البيت مع **قوله تعالى** ﴿ **وَمَا تَفعَلُوا مِن خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللهُ واتقُونِ يَاأولِي الألبَابِ** ﴾ سورة البقرة، الآية: 197.

تتم أشارات التداخل من خلال توظيف نص البردة للفظ التزود الواردة في الآية، فقوله: **وَلا تَزَودَّتُ قَبْلَ المَوتِ نَافِلَةً** إشارة إلى﴿ **وتَزَوَّدوا فإنَ خَيْر الزَادِ التَّقْوى** ﴾،حمل مدلول التزود في الآية معنيين: التزود للسفر في الدنيا والتزود للسفر من الدنيا؛ لهذا ارتبط الأول بالمعنى الحقيقي المرتبط بالزاد المتمثل في الطعام وعدة السفر؛ بينما ارتبط السفر الثاني بالمعنى المجازي المرتبط بالتقوى المتمثلة في العبادة، والطاعات التي أمر بها الله واجتناب ما نهى عنه، وحمل التزود في نص البردة معنى واحداً يتمثل في السفر من الدنيا إلى الآخرة؛ لارتباطه بالموت، والاستعداد بعمل العبادات، والطاعات في قوله: **وَلا تَزَودَّتُ قَبْلَ المَوتِ ... البيت.**

ومن هنا نستنتج أن العلاقة بين التزود في السفرين عملية تتميم، وتكميل، وأن الدنيا مزرعةُ للآخرة، وعلى الإنسان أن يتزود بكل ما يُجنبه غضب الله ومن ثم النار، وظف نص البردة لفظ التزود بصيغة الماضي المنفي في قوله: ولا تزودتُ ، لدلالة على الانقضاء، والمضي والانتهاء، خلافاً للآية التي ورد فيه التزود بصيغة الأمر في قوله تعالى: ﴿ **وتَزَوَّدوا** ﴾ ثم أُتبع بـ ﴿ **فإنَ خَيْر الزَادِ التَّقْوى** ﴾، لتأكيد الأمر بالتزود.[1] وقد ارتبط الأمر في الآية بالجماعة خلافاً لنص البردة الذي ظهرت فيه الأنا النادمة على ما فرطت في حياتها الماضية.

نماذج من البردة للبوصري: لعلنا لا نجانب الصواب إذا قلنا إنّ البوصيري في البردة يستوحي مادته الإبداعية ورؤيته الإسلامية في من القرآن الكريم أولا فالسنة النبوية الشريفة ثانيا، كما أن هناك مصدرا مهما في نسج قصيدة البردة يتمثل في كتب السيرة التي تتمثل في مجموعة من الوثائق والمصنفات التي كتبت حول سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، سواء أكانت قديمة أم حديثة وأذكر على سبيل المثال: "السيرة النبوية" لابن هشام. وسنذكر بعض النماذج التي توضح هذه المرجعية:

المرجعية وتحفيز الوجدان الجمعي:

يقول في البردة: فَاقَ النَّبِيينَ في خَلقٍ وفي خُلُقٍ ولَـمْ يُدَانُوه في عِلْـمٍ ولا كَـرَمِ

أكَـرِم بِخَـلْـقِ نَبِـيَّ زَانَـه خُلُـقٌ بِالحُسنِ مُشتَمِلٍ بَالبِشْرِ مُتَّسِم

إن هذه الصورة للرسول صلى الله عليه وسلم تحفر في الوجدان الجمعي، كما أنها تتفق مع بُنى البطولة العالمية

1 . تفسير التحرير والتنوير، 2/ 236.

ووظائفها،[1]وهي بُنىً ترفع البطل من المألوف إلى المعجز من الميلاد إلى الموت، كما أنها ترتبط بالشعوب وتنعكس عليها رغبات الجماعة لما تؤديه من دور دفاعي عن الذات في وجه الواقع المأزوم.

إن هذين البيتين يتناصان مع قوله تعالى: ﴿ **وإنَّك لَعَلَى خُلُقٍ عَظيمٍ** ﴾ سورة القلم، الآية: 80

تتحدث الأية عن خُلق النبي صلى الله عليه وسلم، وتضمنت تأكيداً من الله سبحانه وتعالى على خُلق نبيه، ونُعت الخُلُق بالعظيم فحمل عدة دلالات، جاءت مكملة لحسن الخليقة، والصورة التي أوجده سبحانه وتعالى بها، وهذا الأمر يُفهم ضمناً؛لأنه صلى الله عليه وسلم مُعدٌّ لحمل رسالة سماوية من الله لكل البشرية، وخاتم للرسل والأنبياء عليهم السلام استوجب ذلك أن يكون مهيئاً بكل الأسباب التي تُمكنه من حمل الرسالة وتأدية الأمانة، ومن هذه الأسباب حسن الخَليقة والخُلق...

يتناص نص البردة مع الآية في بيتين معتمداً على تفصيل ما أجملت الآية فقوله:

فَاقَ النَّبِيينَ في خَلقٍ وفي خُلقٍ إشارة إلى ←﴿ **لعلى خُلق عظيم** ﴾

أكرمْ بِخَلقِ نَبيٍّ زَانَهُ خُلُقٌ إشارة إلى← ﴿ **لعلى خُلق عظيم** ﴾ السجية والطبع على الترتيب؛ ليبين أن كمال الخُلق وجماله مُكمل لجمال الخَلق، ومن هنا فإن الجمال الخَلقي وحده لا يكفي، ولا يُمدح به إذا لم يقترن يقترن بالأخلاق؛ لذلك قال: زَانَه خُلُقٌ ... البيت، وفي قوله: فَاقَ النّبِيّين في خَلق وفي خُلقٍ ... البيت، نُكّرت لفظتي← (خَلق ، خُلُق) مما أفاد التعظيم ةلشأن النبي صلى الله عليه وسلم.

آليات امتصاص خطاب الرحمة والتجاوز في البردة:

يقول : يا نفس لاَ تَقْنَطِي مِن زَلَّةٍ عَظُمَتْ إنَّ الكَبَائرَ في الغُفْرانِ كَاللَّمَمِ

لَعلَّ رحمَةَ ربِّي حِيْنَ يقْسمُها تَأتي عَلَى حَسَبِ العِصْيَانِ فِي القَسمِ

يتناص الشاعر ها هنا مع عدد من الآيات سنقف على اثنين منها:

أولا . قوله تعالى: ﴿ قلْ يَاعبَادِي الذينَ أسْرَفُوا عَلَى أنفُسِهِم لا تَقْنَطُوا من رَحْمَةِ اللهِ إنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَميعاً إنهُ هُو الغَفُرُ الرَّحيمُ ﴾ سورة الزمر، الآية: 53.

تبدأ الآية بنداء العباد في قوله:﴿ **قلْ يَاعبَادِي** ﴾ ، الدال على التحنن والتلطف بهم، وفي إضافة الياء الدالة على الله سبحانه وتعالى تحقيقاً للأمن وبعداً من العذاب وتشريفاً لهؤلاء العباد المؤمنين.

1 . قطاع البطولة والنرجسية في الذات العربية 93.

وقال:﴿ **أسْرَفُوا** ﴾ ← بصيغة الماضي بمعنى ارتكبوا الذنب في الماضي وانتهى.

وقال:﴿ **لا تَقْنَطُوا** ﴾ ← بصيغة المضارع بمعنى لا تيئسوا من رحمة الله ومغفرته الآن وفي المستقبل،وجاء الفعل ﴿ **يَغفِرُ** ﴾ لدلالة على الاستمرار لإفادة أن الله دائم المغفرة .

وفي قوله: ﴿ **لا تَقْنَطُوا من رَحْمَةِ اللهِ** ﴾ أضيفت الرحمة إلى الله، ولم يقل لا تقنطوا من رحمتي إشعاراً بعظم الرحمة لعظم الله سبحانه وتعالى، وما دام النهي عن القنوط أصبح على العبد أن يرجو ويأمل في رحمته.

وجاء قوله: ﴿ **إنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَميعاً إنهُ هُو الغَفُورُ الرَّحيمُ** ﴾ محملاً بدلالات التأكيد والزيادة والكثرة، لإفادة تأكيد حصول المغفرة والرحمة، وأفاد قوله: ﴿ **إنهُ هُو الغَفُورُ الرَّحيمُ** ﴾ معنى الحصر فلا غفور ولا رحيم إلا هو سبحانه وتعالى، وذلك غاية الكمال في وصفه سبحانه وتعالى بالغفران والرحمة.

عمل نص البردة دور الممتص لنص الآية من خلال تمثله لبعض الألفاظ والمضامين؛ فقوله: يا نفس يشير إلى ﴿ **قلْ يَاعبَادِي الذينَ أسْرَفُوا عَلَى أنفُسِهِم** ﴾

لا تقنطي النهي يشير إلى ﴿**لا تَقْنَطُوا**﴾← النهي

أفاد الإفراد أفاد الجمع

إن الكبائر في الغفران كاللَّم يشير إلى ﴿**إنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَميعاً إنهُ هُو الغَفُورُ الرَّحيمُ** ﴾

ينادي نص البردة النفس نداءً من العقل إلى النفس من القوة إلى الضعف، وفي الآية ينادي الله سبحانه وتعالى نداءً من الخالق إلى المخلوق من القوي إلى الضعيف، والشاعر في نص البردة ينهى النفس عن القنوط من زلت عظمت، وأمور فرطت من خلالها في الدين ويرجو في قوله لعل رحمة ربي ...، رحمة الله سبحانه وتعالى، وقال: ربي، ليشعر بربوبية الله وعبوديته أمامه ومن ثم فهو على يقين بحصول الرحمة والمغفرة من الله سبحانه وتعالى؛ لذلك لم ينه النفس عن القنوط من رحمة الله؛ بينما ينهى الله جل جلاله عباده من القنوط من رحمته؛ لأنه كتب على نفسه الرحمة.

ثانياً ـ قوله تعالى: ﴿ **الذينَ يَجتَنبونَ كَبَائِرِ الإثمِ والفَواحِشَ إلا اللَّمَمَ إنَّ رَبَّكَ وَسِعُ المَغْفِرةِ** ﴾ سورة النجم،الآية:32.

يتم التداخل من خلال توظيف بعض الألفاظ والمضامين في نص البردة فقوله: زَلَّةٍ عظمت + إن الكبائر إشارة إلى ﴿ **كَبَائِرِ الإثمِ** ﴾ إن الكبائر إشارة إلى ﴿ **كَبَائِرِ الإثمِ**﴾ كاللمم إشارة إلى ﴿ **إلا اللَّمَمَ**﴾

في الغفران إشارة إلى﴿ **إنَّ رَبَّكَ وَسِعُ المَغْفِرةِ** ﴾

جاء الاجتناب في الآية بصيغة المضارع ←﴿ **يجتنبون**﴾ الدال على الاستمرار، والتجدد ليبين دأبهم واستمرارهم على الاجتناب.

جمعت الآية العديد من الألفاظ الدالة على الذنوب وبتفاوت:

↖ الكبائر ← عموم

↖ الإثم ← خصوص

الذنوب ← الفواحش ← عموم

↙ اللمم ← خصوص

وأضيف الإثم إلى الكبائر ولم يضف إلى الفواحش؛ لأن الفواحش ظاهرة في معناها [1]خلافاً للكبائر التي تحمل معان دلالات عدة، وأفادت الإظافة نوعاً من التخصيص، وعليه فإن: الكبائر تشير إلى مقدار السيئة وعظمها، والفواحش تشير إلى قبح صورة السيئة.المصدر.[2]

وحمل الاستثناء في قوله تعالى: ﴿ **إلا اللَّمَمَ** ﴾ دلالة الاستدراك وأفاد فائدتين: عامة تتمثل في عدم معاملة مرتكب اللمم معاملة مرتكب الكبيرة، وخاصة تتمثل في أنه رحمة من الله بالمسلمين الذين يرتكبونه،[3] والاستدراك بمنزلة البشارة لهم لعلم الله بنقصان عباده وليس رخصة لهم في إتيان اللمم،[4] ويتضمن قوله تعالى: ﴿**إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ** ﴾ تعليل لاستثناء اللمم من اجتناب كبائر الاثم والفواحش،[5] وفي إضافة ضمير الخطاب الدال على النبي صلى الله عليه وسلم إلى (رب) في قوله: ﴿ **إِنَّ رَبَّكَ** ﴾ دون واو الجماعة إشارة إلى أن هذه العناية بالمحسنين حصلت بفضل بركة النبي صلى الله عليه وسلم لهذه الأمة،[6] وتظهر المفارقة في أن نص البردة يجعل الكبائر في المغفرة بمنزلة اللمم في الصغر، وهذا يعني صغر الكبائر أمام رحمة الله وقدرته، وهذا صحيح إلا أن الآية استثنت اللمم من الكبائر على أساس أن اللمم صغار الذنوب التي يقع فيها المسلم وبذلك فإن رحمة الله في

---

1 . تفسير الرازي، للرازي، 8/15.

2 . م، ن، ص9.

3 . تفسير التحرير والتنوير، لابن عاشور، 121/27.

4 . م، ن ، 122/27.

5 . م، ن ، 123/27.

6 . م، ن، ص، ن.

الاستغفار منها يمحوها؛ وأما الكبائر والفواحش فإن المسلم محاسب عليها ورحمة الله تتجلى في الإقلاع التام بالتوبة النصوح.

وبعد هذا التطواف في مظان القرآن الكريم يتبين أن التناص القرآني أكسب قصيدة البردة رونقا جماليا وفنيا وذلك بالاسترفاد في أبياتها من خلال الجزئيات والفنيات البنائية الجديدة، حيث تلاحقت الأفكار داخل القصيدة من خلال توظيف **التناص** القرآني، مما ساعد على آليات التجديد حيث التحول من المعنى ثم الارتداد إليه مرة ثانية.

ونلحظ أن الألفاظ والتراكيب القرآنية بدت في نص البردة متجاورة طورا، و معطوفا بعضها على بعض طورا آخر، ومهما يكن من ذلك، فإن هذا الأثر من القرآن العظيم قد طبع أفكار الإمام البوصيري ومشاعره بطوابع الصدق والوضوح والموضوعية والإنسانية ، كما زاد أسلوبه من خلال ما رصع به جبين صنعته من بيانه المعجز، فصاحة وبيانا، إشراقا وقدسية، وذلك لما يتميز به بيان الخطاب القرآني الكريم من قدرة فذة على الإيحاء بالمعنى المراد من خلال ما يفيض به من صدق القول، وبلاغة الأسلوب، وعذوبة الإيقاع، وسحر البيان.

ابن نباتة :

ابن نباتة 768-686) هـ 1287-1366م) محمد بن محمد بن محمد بن الحسن الجذامي الفارقي المصري، أبو بكر، جمال الدين، ابن نباتة :شاعر، وكاتب، وأديب، ويرجع أصله إلى ميافارقين، ومولده ووفاته في مدينة القاهرة، وهو من ذرية الخطيب عبد الرحيم بن محمد بن نباتة، ولقد سكن الشام سنة 715 هـ) تقريباً) وولي نظارة القمامة في مدينة القدس أيام زيارة المسيحيين لها، فكان يتوجه فيباشر ذلك ويعود، ورجع إلى القاهرة) سنة 761) فكان بها صاحب سر السلطان، وله ديوان شعر و(سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون) وغيرها.

وكان شاعراً ناظماً لهُ ديوان شعر كبير مرتب حسب الحروف الهجائية وأشهر قصيدة لهُ بعنوان (سوق الرقيق) ولهُ العديد من الكتب منها كتاب) سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون)، وكتاب (تلطيف المزاج في شعر ابن الحجاج(، وكتاب) مطلع الفرائد)، وسير دول الملوك وغيرها.

المرجعية الدينية في شعر ابن نباتة : من ذلك ما يأتي نَصًّا دون زيادة أو نقصان.

يقول **جمال الدين بن نُباتة المصري**[1] :

1 . الديوان:118.

بَشَّـــرَنَا الفَـــتْحُ بِعَادَاتِنَـــا لَـــدَيْكَ وَهِـــيَ المِـــنَنُ والمِـــنَحُ

قُلْـــتُ : تَبَّـــتْ يَـــدُ خُـــذْلانِنَا وَ(جَـــاء نَصْـــرُ اللَّهِ وَالْفَـــتْحُ)

يستخدم **جمال الدين بن نُباتة** النصَّ القرآنيَّ ليصوغه في شعره للتعبير عن الذاتية والغيرية معًا عن طريق تداخل الأحداث ليتناسب مع الموقف الراهن من خلال الاتكاء على النص القرآني من خلال **التناص** مع قوله تعالى **(إِذَا جَاء نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ)** [1] والنص القرآني يتحدث عن نصر المسلمين ، وفتح مكة ، والنص الشعري ، يتحدث عن نصر ممدوح الشاعر على أعدائه ، ولكن الشاعر عمل على تداخل نص قرآني آخر سابق على **التناص** الأصلي للآية المذكورة وهو **(تَبَّتْ يَدُ)** فتلاحم النصان وساعدا على إنتاج الدلالة عن طريق هذا التمهيد فهؤلاء الذين خذلوه في الحرب وتخلوا عنه –ممدوح الشاعر– قال عنهم **(تبت يد خذلاننا)** لذا كان النسيج الشعري متلاحمًا مع النسيج القرآني **(تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ)** [2] ، وقد جمع الشاعر في النص الشعري بين الضدين (**الخذلان – النَّصْرُ**).

والنص القرآني عام ، والنص الشعري خاص للممدوح ، وأتى صدر البيت الثاني قائماً على الاكتفاء، [3] واتى عجز البيت الثاني متوافقاً مع النص القرآني والشعري في التركيب والمنطوق ، وهو ما يسمى بالاقتباس.

وفي ذلك المعنى يقول **جمال الدين بن نُباتة** [4] :

أهـــلاً وســـهلاً بـــك مـــن قـــادمٍ أطلـــع أنســـي بعـــد طـــول المغيـــب

وكنـــت مخـــذولاً فقـــال الهنـــا: (نَصْـــرٌ مِـــنَ اللَّهِ وَفَـــتْحٌ قَرِيـــبٌ)

---

1 . سورة النصر:1.

2 . سورة المسد: 1.

3 . زانة الأدب: 282/1.

4 . الديوان:5

وقد توالت الانتصارات على يد ممدوحه لذا جسَّدَ الشاعر الصورة الشعرية لتتلاءم والنص القرآني ، فهذا الانتصار قد تحقق بعد طول غياب ، فأتى **التناص** مع قوله تعالى **(وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ)**[1] .

فممدوحه **فتح الدين** قد خذله أنصاره الذين تحالف معهم إلا أن النصر أتى من عند الله ، فكان النص القرآني في عجز البيت الثاني مُتَلَبِّساً مع المعنى بعد أن مهد له بقوله (**وكنت مخذولاً**) فقوة الله ورعايته كانت مع ممدوح الشاعر، وأن الله نصره على أعدائه، وعجل له فتحا قريبا. وقول الشاعر[2]:

بَشَّـــرَنِي الـــدَّهْرُ بَقِصْـــدٍ بـــه بَـــدَا عَلَـــى أَصْـــحَابِي الـــنَّجْحُ

وَقَـال : (إِنْ تَسْـتَفْتُحِوا –فِي رَجَـا خَـــيْرٍ– فَقَـــدْ جَـــاءَكُمُ الفَـــتْحُ)

وتتكرر البشرى والسرور بعد الهزيمة والضياع والخوف ، وتشمل الألفاظ مساحة واسعة في البيتين لتنسجم مع النص القرآني عن طريق **التناص** مع قوله تعالى **(إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَاءكُمُ الْفَتْحُ)** [3] ، ومهد لذلك في قوله **(الفَتْحُ)** في نهاية البيت الثاني التي حملت التورية ، فالفتح ممدوحه ، والفتح تحقيق النصر ، وأتى الفصل على المستوى النحوي بين فعل الشرط والجواب في قوله: **(فِي رَجَا خَيْرٍ)** للدلالة على تحقيق الخير الذي ظهرت ملاحه على وجوه أصحابه

---

1 . سورة الصف:13.

2 . الديوان: 199.

3 . الأنفال: 19.